مراسلات الوكالة القنصلية الأمريكيةبوصفها مصدرا لتاريخ البصرة أوائل القرن العشرين

الدكتــور
خالد حمود عبد الله السعدون
الامارات – جامعة الشارقة – كلية الاداب

الملخص

تستقى أخبار البصرة عادة خلال المدة موضوع الدراسة من أربعة مصادر هي :- كتابات الرحالة الأجانب والكتابات المحلية والوثائق الرسمية العثمانية والوثائق الرسمية البريطانية . ومع أهمية كتابات الرحالة إلا أنها تتسم في الغالب بسمة السطحية التي تفرضها عجالة مسافر يكتفي باللمحة ويهتم بالطرفة . وتتنافر في كثير من الأحيان روايات المصادر الثلاثة الباقية لأنها تعكس وجهات نظر متناقضة وتعبر عن مصالح متعارضة . فيغدو الباحث لذلك كله في حاجة ماسة لرواية طرف مستقل يلتزم شيئا من الحياد بين تلك الأطراف الثلاثة وتأتي معلوماته أقرب إلى تصوير ما وقع بالفعل . وليس أفضل في هذا المجال من مراسلات ممثليات الدول الأخرى التي كانت عاملة في البصرة حينئذ . ولكنها لـم تحظ مع الأسف باهتمام الباحثين فظلوا أسرى لتعارضات وجهتي النظر العثمانية والبريطانية .

وتحتل مراسلات الوكالة القنصلية للولايات المتحدة الأمريكية موقعا مهما في هذا المجال إذ غطت تقاريرها ومراسلاتها جوانب عديدة من أوجه الحياة في البصرة وتتبعت أبرز الأحداث التي جرت في ربوعها منذ أن فتحت الوكالة أبوابها حتى قيام الحرب العالمية الأولى . ولم يستفد من تلك المراسلات – حسب علمي –

إلا كاتب هذه السطور الذي وظفها في إخراج دراسات عديدة . ومن أجل لفت الأنظار إلى ذلك المصدر المهم أعدت هذه الورقة التي تعرف بالوكلاء القنصليين الأمريكان الذين عملوا في البصرة وتحدد مصادر معلوماتهم وتبين مدى دقتهم وحيادهم في رواية الأخبار . وتتضمن أيضا تحليلا لطبيعة الأخبار والمعلومات التي وردت في تلك المراسلات . عسى أن يحث ذلك بعض الباحثين للاستفادة من هذا المصدر المتاح للجميع .

The Correspondences of the American Consular Agency as a primary source to history of Basrah at the beginnings of the 20th Century

Most of historians who are specialists in the history of Basrah confine themselves to a limited sources such as British , Ottoman , and native documents forgetting another available source , namely the documents of the United States of America's Consular Agency at Basrah . This paper aims to attract attentions of interested researchers to that independent source which contains some important political , economic , and social reports of Basrah covering the period of 1900 to 1915 and beyond . It also evaluates the importance of that source and describes its contains .

مراسلات الوكالة القنصلية الأمريكية بوصفها مصدرا لتاريخ البصرة أوائل القرن العشرين

درج الباحثون الجادون عند دراستهم تاريخ البصرة الحديث والمعاصر على استقاء معلوماتهم من أربعة مصادر هي :- كتابات الرحالة الأجانب والكتابات المحلية والوثائق الرسمية البريطانية والوثائق الرسمية العثمانية . ولا تمثل كتابات الرحالة مصدرا منتظما إذ تتم جولاتهم بشكل عارض وفي أزمان متفاوتة فلا يضمن كل باحث أن يجد فيها ضالته . كما أن الرحالة في الغالب ليس خبيرا متمرسا بأحوال المنطقة عارفا بدقائق حياتها وخبايا مجتمعها . وهو حتى لو اتصف بشيء من هذا لا يملك متسعا من الوقت للتدقيق في مشاهداته وإخضاعها للمزيد من الدراسة والتحقيق . فيكتفي باللمحة ويجتزئ بالإشارة السريعة . وهو فضلا عن ذلك كله يبحث عن الطريف المغرب لإمتاع قرائه الغربيين بأمور مغايرة لما يألفون . وقد يبالغ بعضهم في استقصاء الغريب والشاذ حتى يصل حد التهويل .

أما الكتابات المحلية المعاصرة للحدث فهي نادرة ، إذ كان العصر عصر انصراف عن الثقافة وعزوف عن الكتابة . ويتسم أغلب المتاح منها بقلة الضبط وضعف التوثيق وغياب المنهج العلمي ، فهي – لذلك – لا تعدو أن تكون مشاهدات الكاتب الشخصية ملونة بمشاعره الذاتية وآرائه الشخصية النابعة من مصالحه أو انتماءاته الضيقة . ولا يبقى بعد ذلك أمام الباحث سوى تركيز نظره على الوثائق البريطانية بأنواعها المختلفة وهي تحوي مخزونا هائلا من المعلومات عن تاريخ البصرة منذ أواسط القرن السابع عشر يزداد كما وتفصيلا مع تقدم الزمن عبر القرون اللاحقة . ويستحيل على باحث في تاريخ البصرة الحديث والمعاصر إنجاز شيء ذي بال دون العودة إلى ذلك المخزون لاغتراف كثير أو قليل من محتوياته يعينه على إخراج دراسته . ولكن الاعتماد المفرط على مصدر واحد مهما كانت

أهميته يلتبس مع خطر الانزلاق إلى تبني وجهة نظر أحادية الجانب في حين أن للحقيقة وجوها عديدة.

وتمثل العودة للوثائق العثمانية سبيلا ملائما للخروج من ذلك المأزق اهتدى له بعض الباحثين فسعوا للاستفادة من المعلومات الواردة في السالنامات وسجلات المحاكم الشرعية .[١] ولكن هذه المادة المستخدمة – على أهميتها – ليست سوى نقطة من بحر الوثائق العثمانية المحفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء (باشباقنلق أرشيفي) في اسطنبول الذي تعد محتوياته بعشرات الملايين .ولم يجرب أحد من مؤرخي البصرة المحدثين – فيما أعلم – العودة لذلك الأرشيف لعوامل عديدة في مقدمتها حاجز اللغة . إذ قصرت معاهدنا الموكلة بإعداد الباحثين تقصيرا فاضحا حين لم تول اهتماما ملموسا لتعليم طلبتها لغة تحوي مصادر تاريخهم لأربعة قرون متتالية . وستظل دراساتنا في مجال التاريخ الحديث والمعاصر متسمة بنقص خطير إلى أن تبادر معاهدنا لمعالجة هذا الخلل المعيب .

وقد غفل باحثونا – أو أغلبهم – عن مصدر آخر يساعدهم على فك أسار اعتمادهم المنفرد على الوثائق البريطانية وهو مراسلات قنصليات دول أجنبية أخرى كانت عاملة في مدينة البصرة . ومن أبرزها القنصليات التابعة لفرنسا وروسيا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية . إذ لم تخضع تلك المراسلات لدراسة جادة لمحتوياتها ،[٢] ولعل ذلك عائد للحاجز اللغوي الذي يذود أغلب الباحثين عن حمى كنوزها . ويفترض أن يكون هذا الحاجز منتفيا بالنسبة للوثائق الأمريكية فهي مكتوبة بلغة تعد اللغة الثانية لباحثينا بعد لغتهم الأم وقضوا في تعلمها سنين طويلة أهلتهم لفهم النصوص المكتوبة بها واستخدامها في دراساتهم .[٣]

ويحسن قبل الحديث عن ماهية هذه الوثائق الأمريكية التعريف السريع بنشوء التمثيل القنصلي للولايات المتحدة الأمريكية في العراق . فقد فتحت حكومة الولايات المتحدة قنصلية لها في بغداد سنة ١٨٨٩ .[٤] وجاء ذلك منسجما مع توجه

تلك الحكومة نحو منطقة الخليج العربي منذ أوائل القرن التاسع عشر . وأسفر ذلك التوجه عن عقد معاهدة تجارة مع الدولة العثمانية سنة ١٨٣٠ ومعاهدة مماثلة مع سلطان مسقط سنة ١٨٣٣ وثالثة مع شاه فارس سنة ١٨٥١ أكدت بأخرى سنة ١٨٥٦. وعلى الرغم من أن ذلك التوجه كان ذا طابع تجاري إلا أنه تضمن طموحا سياسيا عبر عن نفسه باجتياز أول سفينة حربية أمريكية مضيق هرمز في كانون الأول سنة ١٨٧٩ . وقد أصعدت تلك السفينة في إبحارها باتجاه رأس الخليج حتى دخلت شط العرب ورست في ميناء البصرة .(٥) ويؤشر ذلك الرسو إدراكا أمريكيا مبكرا لأهمية ذلك الميناء التجارية والإستراتيجية .

وقد تعمق ذلك الإدراك سنة إثر أخرى حتى قررت حكومة الولايات المتحدة فتح وكالة قنصلية consular agency في البصرة سنة ١٩٠٠ .(٦) وأملى عليها اتخاذ ذلك القرار نمو المصالح التجارية الأمريكية في ميناء البصرة الذي تتدفق عبره صادرات العراق وارداته . فقد ازدادت حينئذ حركة شحن التمور العراقية إلى الولايات المتحدة . وهيمنت على تلك الحركة شركتان أمريكيتان كانتا تقومان بشراء التمور وكبسها وتصديرها إلى نيويورك وهما (شركة وليم هلز وشركاه William Hills & Co.) و (شركة الأخوة هلز The Hills Brothers Co.) . وكانت هاتان الشركتان تحتكران أيضا شراء إنتاج شركتين بريطانيتين ومؤسسة محلية من التمور وتقومان بتصديره مع إنتاجهما الخاص . وبذلك غدت هاتان الشركتان موجهتين لأسعار التمور في سوق البصرة .(٧)

واحتكرت شركة أمريكية أخرى عمليات استخراج عرق السوس في العراق وتصديره إلى الولايات المتحدة ، وهي (شركة مك أندراوس وفوربس The McAndrews & Forbs Co.) من نيوجيرسي . وقد قامت هذه الشركة ببناء معمل في البصرة لكبس عروق السوس على شكل بالات قبل تحميلها على ظهور البواخر المغادرة إلى نيويورك .(٨) وفضلا عن هذه الشركات الثلاث كان هناك

مصدرون ومستوردون عديدون محليون وأجانب يشتغلون بعمليات تصدير المنتجات العراقية الأخرى للأسواق الأمريكية أو يستوردون منها المنتجات الأمريكية . وكان المصدرون ملزمين بموجب الأنظمة الأمريكية بتصديق فواتير صادراتهم إلى الولايات المتحدة لدى ممثلية قنصلية أمريكية قبل إرسالها إلى عملائهم في أمريكا لتسديد أقيامها .[٩] فاستوجب ذلك كله فتح الوكالة القنصلية الأمريكية في البصرة للقيام بتسهيل ذلك النشاط التجاري الجاري في الميناء .

ولم تكن الحاجة إلى وجود الوكالة القنصلية في البصرة نابعة من ذلك السبب فقط ، بل بررتها أيضا الحاجة إلى رعاية المواطنين الأمريكان المقيمين في البصرة وجوارها أو الزائرين لها . وكان وجود أولئك الأمريكان قد غدا مألوفا منذ أن حط المبشرون الأمريكيون رحالهم في البصرة سنة ١٨٩١ تحت مسمى "الإرسالية العربية The Arabian Mission " ثم تمددوا من هناك إلى العمارة والبحرين ومسقط والكويت .[١٠] وأنشأوا مؤسسات صحية وتعليمية في المنطقة . وكثيرا ما كانوا بحاجة إلى دعم قنصلي لتسهيل معاملاتهم لدى السلطات العثمانية . فكانت الوكالة القنصلية تتدخل لتسهيل حصولهم على التأشيرات اللازمة لتنقلهم في بعض أرجاء المنطقة .[١١] وتتوسط من أجل حصولهم على الموافقات الضرورية لممارسة أنشطتهم الطبية والتعليمية .[١٢] كما تيسر تجديد المواطنين الأمريكيين لجوازات سفرهم .[١٣] وتقوم فضلا عن ذلك كله برفع تقارير منتظمة عما يحدث في البصرة وجوارها من أحداث سياسية . إذ كانت الممثليات الأمريكية العاملة في الخارج ملزمة بتقديم تقرير شهري واحد على الأقل عن الأحداث ذات الطبيعة السياسية التي تقع ضمن نطاق دائرة عملها .[١٤]

ويلاحظ على عمل الوكالة القنصلية الأمريكية في البصرة خلال المدة محل الدراسة عدم استقرارها من الناحية الإدارية . إذ أن منصب الوكيل لم يكن ذا عائد مجزي من الناحية المالية بحيث يقبل مواطن أمريكي متفرغ على الاستقرار في

البصرة للقيام بأعبائه . وترتب على ذلك أن القنصل الأمريكي في بغداد الذي تتبعه وكالة البصرة من الناحية الإدارية كان يضطر إلى إناطة ذلك المنصب ببعض موظفي المؤسسات التجارية العاملة في البصرة من الأمريكان أو البريطانيين ليتولوه بصفة " قائم بالأعمال acting " . وقد شغله بتلك الصفة المستر (صامويل دودز Samuel Dods) من أوائل سنة ١٩١٠ حتى وفاته أواخر سنة ١٩١١.[١٥] ويضطر القنصل أحيانا للاستعانة بقائم بالأعمال لا ينتمي حتى للمؤسسات التجارية الأمريكية. فقد كلف بعد وفاة دودز القنصل الروسي في البصرة (سيرجي توخولكا S. Thoukholka) بالقيام بأعباء ذلك المنصب .[١٦] وانتدب بعده (أرفند كونوف A. Konoff) وهو روسي يدير أعمال الشركة الروسية للملاحة البخارية والتجارة في البصرة لتولي تلك المهمة في كانون الأول ١٩١٣ .[١٧]

جدول رقم (١)

المراسلات الصادرة من الوكالة القنصلية الأمريكية في البصرة

حسب سني إرسالها بين ١٩٠٨ و ١٩١٤

السنــة	العـدد	النسبة المئوية
١٩٠٨	١	١،٨٥
١٩٠٩	٥	٩،٢٥
١٩١٠	١١	٢٠،٣٧
١٩١١	٢٤	٤٤،٤٤
١٩١٢	٥	٩،٢٥
١٩١٣	٤	٧،٤٠
١٩١٤	٤	٧،٤٠
المجموع	٥٤	١٠٠

وقد انعكس عدم الاستقرار الإداري على مراسلات الوكالة القنصلية الأمريكية في البصرة مع مرجعها الإداري في بغداد من حيث الانتظام والكمية . إذ يلفت النظر أن سجلات القنصلية الأمريكية في بغداد التي تحوي آلاف الرسائل والتقارير لا تتضمن من مراسلات الوكالة في البصرة بين سنتي ١٩٠٨ و١٩١٤ سوى أربع وخمسين وثيقة فقط . ويظهر تصنيف هذه الوثائق حسب تواريخ إرسالها العلاقة الوثيقة بين الاستقرار الإداري في عمل الوكالة وكمية الوثائق . إذ تظهر المقارنة أن حوالي ٦٥% من تلك الوثائق صدرت من الوكالة خلال سنتي ١٩١٠ و١٩١١حين استقرت إدارة الوكالة بيدي شخص واحد هو صامويل دودز .

ولا يكفي عدم الاستقرار الإداري وحده لتفسير تلك الظاهرة . بل يشاركه في ذلك بل ويتغلب عليه الأسلوب الذي كان يتعامل به القناصل الأمريكان في بغداد مع ما يردهم من مراسلات الوكالة القنصلية في البصرة . فلم يكن أولئك القناصل يحرصون على تمرير تلك المراسلات كلها إلى مراجعهم في واشنطن بما يتيح لها الإيداع في الأرشيف الوطني هناك . إذ كان القناصل يعمدون إلى توظيف معلومات مراسلات الوكالة في تقاريرهم المرفوعة إلى واشنطن ونادرا ما يرفقونها بأصول تلك المراسلات أو نسخ منها . ويدل على هذا النص الصريح في بعض تقارير أولئك القناصل على أن معلوماتهم مستقاة من الوكلاء العاملين في البصرة . [ينظر الملحق رقم ١] . كما يدل على ذلك ورود كثير من المعلومات في تقارير القناصل عن أحداث جرت في البصرة وجوارها يرجح أنها مستقاة من الوكلاء في البصرة على الرغم من عدم نص القناصل على ذلك . [ينظر الملحق رقم ٢]

ومن الطبيعي أن يستمد الوكيل القنصلي في البصرة معلوماته من مصادر متعددة . ويأتي في طليعتها مشاهداته الشخصية ومحادثاته مع من يحتك بهم من موظفي الولاية على مختلف درجاتهم ووجوه السكان والتجار الذين يراجعون الوكالة لإنجاز معاملاتهم . كما نص بعض الوكلاء على استقائهم المعلومات عن التجارة في

البصرة من القنصلية البريطانية العاملة هناك . إذ كانت تلك القنصلية تستفيد من واقع غلبة الشركات الملاحية البريطانية على حركة النقل في ميناء البصرة فتحصل من مكاتب تلك الشركات على إحصاءات تجارية مستخرجة من بيانات حمولات السفن (المانفيستات) . وكان القنصل البريطاني يقايض تلك الإحصاءات مع إحصاءات الوكيل القنصلي الأمريكي التي يجمعها من سجلات الوكالة لكميات السلع المصدرة للولايات المتحدة حيث توثق فواتير التصدير في الوكالة حسبما مر بيانه .[١٨]

وكانت بعض المعلومات تستمد أحيانا من قناصل دول أخرى إما على سبيل تبادل المعلومات بين الزملاء أو خلال أحاديث عرضية تجرى معهم .[١٩] ومن المصادر المهمة التي كانت تمد الوكلاء القنصليين بالأخبار والمعلومات المبشرون الأمريكان المنبثون في ربوع المنطقة . إذ تغلل أولئك المبشرون في نسيج المجتمع المحلي نتيجة طول مكوثهم في المنطقة ومن جراء ما كانوا يقدمونه لسكانها من خدمات طبية وتعليمية . فغدوا بذلك كله مطلعين على ما يجري فيه من أحداث تجري أمام أعينهم ومن أحاديث يسمعونها من مخالطيهم . ولم يكتف بعض المبشرين بما يحصلونه شخصيا من معلومات عرضية بل حرصوا على تعيين مخبرين محليين موكلين بجمع الأخبار لهم .[٢٠]

ولا بد من وقفة لتقويم مدى دقة المعلومات التي تتضمنها مراسلات الوكالة القنصلية الأمريكية . ويلزم التنويه بداية بصعوبة إصدار حكم شامل مطلق عليها كلها ، فهي مثل غيرها من الوثائق تتمايز في درجة دقتها وضبطها حسب طبيعة موضوعها وحسب مقدار إطلاع كاتبها . ويمكن القول إن التقارير التجارية والصحية تتصف بدرجة كبيرة من الدقة لأنها مستمدة من سجلات مكتوبة عائدة لشركات بريطانية وقيود قنصلية أو من سجلات المستشفى التبشيري الأمريكي في البصرة . كما أن ما يرويه الوكيل القنصلي حين يكون شاهد عيان على الحدث أو الحديث يتسم بقدر من الضبط أكبر مما لو نقله سماعا عن راوية ما غير محدد لا تعرف دقته ولا يستبين مدى وعيه .

ولا تخلو مراسلات الوكالة القنصلية من أخطاء يلحظها الباحث المطلع . وأكثر ما ترد تلك الأخطاء حين تتحدث المراسلات عن أسماء العشائر وأنسابها وتفرعاتها وكذلك أسماء المواضع النائية التي تجري فيها بعض الأحداث .[٢١] ولا يستنكر ورود ذلك من امرئ غريب عن المنطقة ، وهو مألوف في الوثائق القنصلية الأخرى وفي كتابات الرحالة عموما . ويحمد لكاتبي تقارير الوكالة القنصلية الأمريكية في البصرة حرصهم على تنقيح ما يرسلونه من معلومات إذا نشأت ضرورة لذلك . إذ كانوا يعمدون في تقرير لاحق لتوضيح معلومة وردت في تقرير سابق فيضيفون عليها أو يعدلونها بناء على معلومات استجدت لديهم بشأنها .[٢٢]

ولا تعدم وثائق الوكالة القنصلية عموما شيئا من الأصالة في معلوماتها حين تكون المصدر الأول لحدث ما أغفلته المصادر الأخرى كليا أو حين تضيف بعض التفصيلات التي لم توردها تلك المصادر . فقد تفرد الوكيل القنصلي الأمريكي في البصرة على سبيل المثال بإيراد تفصيلات عن حادثة جرت في مدينة البصرة خلال شهر شباط ١٩٠٩ . فذكر إن عصابة مؤلفة من خمسين رجلا اقتحمت في وضح النهار دارا واقعة على نهر البصرة وقتلت مالكها ونهبت منزله الذي يقع متوسطا بين مركزين حكوميين حيث لا يبعد في أحد جانبيه عن ثكنة عسكرية إلا حوالي مائة ياردة ، ولا يبعد جانبه الآخر إلا مسافة مماثلة عن مركز للشرطة . ولم يتدخل العسكر أو الشرطة لنجدة أهل الدار رغم سماعهم أصوات إطلاق النار . وبين إن ذلك الحادث وأمثاله السابقة أثار قلق المؤسسات التجارية الأمريكية العاملة في البصرة فقدمت طلبا للوكالة القنصلية ملتمسة الضغط على السلطات المحلية حتى تتخذ إجراءات حازمة لمعالجة الوضع وتخويل الشرطة صلاحية القبض على أي شخص يحمل بندقية داخل المدينة . وطلبت تلك المؤسسات من الوكيل رفع الأمر إلى السفير الأمريكي في اسطنبول للاحتجاج لدى الباب العالي على ذلك الوضع . وذكر الوكيل في تقريره أيضا إن وجهاء البصرة أرسلوا برقيات مطولة إلى

اسطنبول شاكين من ذلك الوضع ومحملين الوالي مسؤوليته .[٢٣] ويندرج في هذا السياق ما كتبه الوكيل القنصلي عن قيام بعض العشائر بقطع الخط البرقي الممتد بين بغداد والبصرة مما أثر على مصالح التجار الأجانب والوطنيين فقدموا شكوى إلى والي البصرة . وقد أخبر الوالي الوكيل القنصلي شخصيا في التاسع عشر من تشرين الثاني ١٩٠٩ بعزمه على تسيير حملة حربية خلال أيام كي تصلح الخط وتوقع العقاب بمن خربوه إن أمكن .[٢٤]

وقد يتساءل بعضهم عن استقلالية الوثائق الأمريكية عن مثيلتها البريطانية ما دامت الدولتان تنتميان إلى ثقافة واحدة وما دامت مهام الوكالة القنصلية الأمريكية في البصرة قد أنيطت أحيانا الى بعض البريطانيين . ولكن مقارنة سريعة بين نماذج من الوثائق التي تتناول موضوعات متماثلة تبدد ذلك الظن ، إذ تشيع في ثنايا وثائق الوكالة استقلالية واضحة عن وجهات النظر البريطانية ، بل أنها تظهر روحا نقدية لبعض المواقف البريطانية على الساحة العراقية . وتتبع تلك الروح من تناقض المصالح بين الدولتين . فقد لاحظ الوكيل القنصلي الأمريكي في البصرة على سبيل المثال امتعاض البريطانيين من وضع حجر الأساس لمستشفى الإرسالية الأمريكية في البصرة في الثالث من مارس ١٩٠٩ . [ينظر الملحق رقم ١] . وترد في مراسلات الوكالة أحيانا انتقادات حادة لأخطاء السلطات العثمانية وسوء تصرف مسؤوليها المحليين . كما ترد فيها إشادة ببعض الخطوات الإصلاحية التي أقدمت عليها تلك السلطات . وهي بذلك تبدو أكثر توازنا من الوثائق البريطانية التي تشيع فيها نظرة انتقادية لتصرفات السلطات العثمانية . وتنتقد وثائق الوكالة أحيانا بعض تصرفات العراقيين ، ولكنها على وجه العموم أقل تحاملا عليهم من الوثائق البريطانية التي تتبدى فيها روح عنصرية واضحة هدفها التشنيع عليهم والحط من أقدارهم .

وتقع مراسلات الوكالة القنصلية الأمريكية في البصرة في ثلاثة أصناف ، فهي إما أن تكون تقارير تجارية سنوية ، أو تقارير شهرية تستعرض أهم الأحداث التي تقع في البصرة وما يجاورها ، أو رسائل تعالج موضوعات مختلفة حسب

الحاجة الآنية . ويحسن تصنيف تلك المراسلات حسب مضامينها لتتبين مجالات اهتمامها المختلفة .

جدول رقم (٢)

تصنيف مراسلات الوكالة القنصلية الأمريكية في البصرة حسب مضامينها

المضمون	عدد الوثائق	النسبة المئوية
متنوع	١٦	٢٩،٦٢
أمور صحية	٢١	٣٨،٨٨
أمور اقتصادية	١٣	٢٤،٠٧
متفرقة	٤	٧،٤٠
المجموع	٥٤	١٠٠

ويندرج عادة ضمن صنف " المتنوع " في الجدول أعلاه فقرات تتعلق بأصناف أخرى فتتناول أمورا اقتصادية أو صحية . كما لا تخلو الوثيقة المتنوعة غالبا من إشارة إلى الاضطرابات الأمنية والتحركات العشائرية [ينظر الملحق رقم ٣] . ويلاحظ هنا اهتمام الوكالة القنصلية الأمريكية الكبير بالجانب الأمني لأنه يؤثر تأثيرا مباشرا على المصالح التجارية الأمريكية في المنطقة . وينطبق هذا العامل أيضا على كثرة اهتمام الوكالة بالأوضاع الصحية لأنها متصلة أوثق اتصال بسير العمل في مكابس (جراديق) التمور التي تصدر للولايات المتحدة . فإذا جمعت التقارير الصحية مع مثيلتها الاقتصادية ومع ما يرد في التقارير المتنوعة من فقرات متعلقة بالنواحي الأمنية ظهر أن أغلب مراسلات الوكالة القنصلية منصبة على الاقتصاد وما يتصل به . وينسجم ذلك تمام الانسجام مع تركيز السياسة الخارجية الأمريكية في هذه المرحلة على النشاط الاقتصادي ، حتى لقد سميت السياسة الخارجية التي تبناها الرئيس الأمريكي وليم تافت Taft(١٩٠٩– ١٩١٣) "دبلوماسية الدولار " .[٢٥]

وتتفاوت مراسلات الوكالة القنصلية الأمريكية في البصرة في طولها حسب طبيعة مواضيعها . فتجيء التقارير التجارية السنوية متعددة الصفحات متضمنة إحصاءات وجداول كثيرة . وتتفاوت التقارير الشهرية متنوعة الموضوعات في طولها حسب عدد الموضوعات المعروضة وكمية المعلومات المتاحة عنها لكاتب التقرير ، ولكنها تأتي غالبا في حدود صفحة ونيف [ينظر الملحق رقم ٣] . أما حين تكرس الرسالة لموضوع واحد فتأتي مختصرة غالبا [ينظر الملحق رقم ٤] . ومراسلات الوكالة القنصلية الأمريكية بمختلف أصنافها ذات أسلوب يتسم عموما بالبساطة والمباشرة فلا تثقل على قارئها بالاستعارات والكنايات ولا ترهقه بسرد كثير من الاحتمالات المتشككة كما هو دأب البريطانيين في تقاريرهم . ويعود هذا التباين إلى اختلاف أسلوبي التفكير والتجربة السياسية .

الخلاصــة :

يستخلص مما عرض بعجالة أعلاه أن مراسلات الوكالة القنصلية الأمريكية تمثل مصدرا في غاية الأهمية لمن يبحث في تاريخ البصرة بين مطلع القرن العشرين وقيام الحرب العالمية الأولى . إذ يجد فيها الباحث شهادات حية دونها شهود عيان لامسوا كثيرا من الأحداث ملامسة مباشرة أو تابعوها عن قرب ونقلوها عن رواة متعددين ودونوها أثناء جريان الحدث أو بعيد وقوعه . وهي تنفرد بعض الأحيان بذكر معلومات لم ترد في المصادر الأخرى أو تضيف تفصيلات غفلت عنها تلك المصادر . وتتصف مراسلات الوكالة بقدر واضح من الاستقلالية عن المصادر المحلية والعثمانية والبريطانية . ولا تخلو تلك المراسلات شأنها شأن أي جهد إنساني من نقاط ضعف أبرزها اختلاطها في كثير من الأحيان مع مراسلات القنصلية الأمريكية في بغداد مما يلزم الباحث بتناول مراسلات الجهتين معا بوصفها وحدة واحدة تتكامل معلوماتها ويلقي بعضها الضوء على بعضها الآخر . وترد في مراسلات الوكالة بعض الأخطاء حين تتعلق المعلومات بأمور من صميم البيئة

العراقية التي يستعصي على مراقب أجنبي فهم دقائقها . وتمتاز تلك المراسلات بتركيزها على الجوانب الاقتصادية وما يتصل بها من جوانب صحية وأمنية فتوفر بذلك للباحث فرصة الخوض في ميادين بحث تاريخي طال الإعراض عن ولوجها على الرغم من أهميتها الفائقة .

الملحق رقم (١)

American Consul ,
Bagdad, Turkey, March 29th , 1910.
No. 19
Hon. Oscar S. Straus,
American Ambassador , Constantinople.

لي الشرف أن أفيدكم بأن سعادة سليمان نظيف بك والي البصرة[٢٦] قام في الثالث من آذار بوضع حجر الأساس لمستشفى البعثة الأمريكية العربية العاملة في ذلك المكان . وقد أثار هذا العمل انتقادات كثيرة بين الأجانب الآخرين الطامعين بهذه المنطقة .[٢٧]

في تقرير أستلم يوم أمس من الوكيل القنصلي دودز في البصرة روي أن شيخ الكويت مبارك هزم على يدي شيخ المنتفق في موضع صحراوي يدعى (أبو غار)[٢٨] وهو يقع على رأس مثلث يمتد ضلعاه إلى الناصرية والزبير . ولبريطانيا معاهدة مع شيخ الكويت توفر له حماية إلى حد ما .[٢٩] ولا أعلم مدى الحماية التي تفرض هذه المعاهدة على بريطانيا تقديمها لشيخ الكويت تجاه غزو يقوم به شيوخ صحراويون من الداخل . سمعت ما يقال بأن بريطانيا لن تقوم بأي عمل في الحالة الراهنة . .....

American Consul .

ملحق رقم ٢

American Consul ,

Bagdad , Turkey , April 28 , 1908 .

No. 370.

G. Bie Ravndal, Esquire ,

American Consul – General, Beirut , Syria .

. . . . . .

تأكدت الإشاعة عن مقتل حجي منصور باشا[٣٠] في القطيف . وقد كان قبل اثنتي عشرة سنة رجلا فقيرا ، ولكنه أثرى عن طريق التعامل البارع باللؤلؤ حتى كان عند موته أغنى رجل في القطيف وتفوق سلطته هناك سلطة الحكومة . وقد استخدم من أجل تحقيق الثراء وسائل قسرية حيث كان يشتري اللؤلؤ والممتلكات الأخرى بأدنى الأسعار مهددا البائعين بالاغتيال إذا رفضوا قبول أسعاره . وقبل حوالي ست سنين عين السيد طالب باشا [٣١] وهو أحد أبناء عائلة النقيب في البصرة متصرفا في الأحساء . وخلال عهده جرد حجي منصور باشا من ممتلكاته وانتقضت سلطته مؤقتا ، ولكنه رتب استعادة أغلب ممتلكاته عن طريق دفع رشاوى في البصرة . وقد قتل قبل خمسة عشر يوما في القطيف على أيدي بعض السكان الذين يعانون من اضطهاده . وهذا الخبر مهم لأن تلك الحادثة ستعيد النفوذ والسلطة للحكومة التركية . وهو خبر سعيد للأجانب لأن القتيل كان معاديا لهم وللعدوان الأجنبي .

. . . . .

American Consul .

ملحق رقم (٣)

American Consular Service
Bussorah, Turkey , October 15, 1911.
No. 376
James Scott Levack ,Esquire,
Vice & Deputy Consul , Bagdad .

لي الشرف أن أفيدكم عن الأمور الآتية :-

الكوليرا :-

إن النشرة الرسمية للأسبوع المنتهي في الرابع عشر من الشهر الجاري تحدثت عن خمس إصابات وأربع وفيات . هناك تحسن ملحوظ ولكني أقدر أن هناك ما بين ثمان إلى عشرة إصابات جديدة تقع يوميا في مدينة البصرة وضواحيها الملاصقة . أصيب ستة أوربيين بالكوليرا خلال الشهرين الماضيين كانت إصابات أربعة منهم قاتلة . كانت الإصابة الأخيرة في الحادي عشر من الشهر الجاري حين توفي المصاب بعد عدة ساعات فقط من إصابته وهو مدير شركة البصرة التجارية المشتغلة بتعبئة التمور وتصديرها لأمريكا وأماكن أخرى .

أخبار محلية :-

عمد عبد الكريم الصيهود[٣٢] للضغط على سلطات ولاية البصرة لحملها على الاستجابة لمطالبه فأرسل في الرابع عشر من تشرين الأول ١٩١١ يهددها بقطع الملاحة في نهر دجلة بين العزير والقرنة ما لم تلب مطالبه . وكان رد السلطات – كدأبها خلال الأسابيع الماضية – هو تملقه ومحاولة استرضائه كسبا للوقت بانتظار استلام زوارق الدورية الجديدة التي وصل اثنان منها بالفعل . وإذا صدق ظني ستكون لنا عودة للاضطرابات القديمة . إذ لو استخدم الترك زوارقهم الجديدة باعتدال ستكون النتيجة مفيدة ، ولكن الخطر كامن على أية حال في أنهم ربما يثيرون العشائر الأخرى حين يستغلون تحسن مركزهم في النهر للتنقيب عن النزاعات القديمة والاستئساد على الشيوخ .

أقيمت خطوط اتصال هاتفي بين مراكز الشرطة حول المدينة ومن المعتزم تحويل الخطوط الهاتفية لاحقا لخدمة الجمهور .

إن إعلان إيطاليا الحرب ضد تركيا[٣٣] لم يلاق اهتماما محليا كبيرا . وقد منعت البرقيات المشفرة وهو إجراء معيق للتجارة . وشحنة من الحبوب حملت من البصرة قبل شهر ماض أوقفت في البحر الأحمر وطلب من الشاحن تعيين وكيل له في عدن كي يستلمها هناك . وقد سمح بشحن التمور من البصرة بعد أن كانت هناك لبعض الوقت خشية من إعلان حظر على تصديرها .

. . .

S. Dods ,
Consular Agent .

ملحق رقم (٤)

American Consul ,
Bagdad , Turkey , August 4 , 1911 .
M. C. No. 470
Samuel Dods , Esquire ,
American Consular Agent , Bassorah.

لي الشرف أن أرسل لإطلاع مكتبكم نسخة من إشعار أصدرته الحكومة العثمانية ويتعلق بتعويم أضواء إرشادية عند الحاجز الطيني في الفاو . وبالنظر لقربك من ثغر الفاو سأكون ممتنا لو أبقيتني على علم بأية تطورات في هذا الاتجاه. يظهر – طبقا للجرائد الاسطنبولية – أن الترك ينوون إيلاء اهتمام أكبر لمدخل شط العرب نظرا لنمو المصالح البريطانية في مياه الخليج الفارسي [كذا] وأعمال الشركة الأنكلو – فارسية في عبادان[٣٤] . وتناقش الجرائد المحلية هنا هذه القضية بحماس بالغ .

. . . . . .

American Vice & Deputy Consul .

الهوامـش

(١) ينوه في هذا المجال بدراسة مصطفى كاظم المدامغة ، نصوص الوثائق العثمانية عن تاريخ البصرة ، البصرة ، ١٩٨١ .

(٢) اهتم الدكتور محمد عبد الله العزاوي بالرجوع إلى الوثائق الفرنسية وإن لم يركز على البصرة . كما اعتمدت دراسات روسية على الأرشيف الروسي مثل كتاب آداموف عن ولاية البصرة الذي ترجمه الدكتور هاشم التكريتي .

(٣) انتبهت لهذا الواقع خلال إعدادي لرسالة الدكتوراه عن " الأوضاع القبلية في ولاية البصرة ١٩٠٨ – ١٩١٨ " وجلبت سنة ١٩٨١ نسخة من سجلات القنصلية الأمريكية في بغداد وبضمنها مراسلات الوكالة القنصلية الأمريكية في البصرة من " إدارة الأرشيف الوطني والسجلات في واشنطن العاصمة The National Archive and Records Administration (NARA) , Washington , D.C. " وتغطي تلك السجلات المدة الواقعة بين سنتي ١٩٠٥ و ١٩١٥ وتضم قرابة ثلاثة عشر ألف وثيقة . وتحفظ تلك السجلات الآن في مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة بعد أن تبرعت للمركز بمكتبتي بكل ما تحويه من وثائق وكتب كي تكون تحت تصرف الباحثين .

(٤) لوريمير ، ج.ج. ، السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية ، ترجمة جامعة السلطان قابوس ومركز الشرق الأوسط بكلية سانت أنطوني – جامعة أوكسفورد ، ريدنغ : دار غارنت ، ١٩٩٥ ، الجزء الأول – تاريخ ، المجلد الثاني ، ص ٢٠ .

(٥) تجد تتبعا للخطوات الأمريكية نحو الخليج في :- بالمر ، م.أ. ، حراس الخليج : تاريخ توسع الدور الأمريكي في الخليج العربي ١٨٣٣ – ١٩٩٢ ، ترجمة نبيل زكي ، القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٩٥ ،ص ص١٢ – ١٧ .

(٦) لوريمير ، السجل التاريخي ، الجزء الأول – تاريخ ، المجلد الثاني ، ص ٧٩ .

(7) NARA , RG 84 , No. 361 , Am. Con. Agent , Bas. , to Am. Vice & Dep. Con. , Bag. , dated 27.6.1911.

(8) NARA , RG 84 , " Annual Report of Bagdad Consular District in 1911 " , by Am. Con. , Bag. , dated 30.7.1912 .

(9) NARA , RG 84 , File No. 600 , Am. Con. , Bag. , to Am. Con. Agent , Bas. , dated 17.3.1913 .

(١٠) للتعرف السريع على الإرسالية العربية ينظر : " المبشرون الأجانب وأنشطتهم في العراق ١٩٠٨ – ١٩١٤ " في خالد السعدون ، أوراق عن تاريخ الخليج العربي ، بيروت : جداول للنشر والتوزيع، ٢٠١١ ، ص ص ١٠٩ – ١٢٧ .

(11) NARA , RG 84 , No. 35 , S. Toukholka , Bas. , to Mr. E. Sauer , Bag. , dated 8.2.1912 .

(12) NARA , RG 84 , No. 317 , Acting Am. Con. Agent , Bas. , to Am. Con. , Bag. , dated 5.3.1910 .

(13) NARA , RG 84 , No. 46 , " Transmitting Passport Application " , by Am. Con. , Bag. , dated 5.12.1908 .

(14) NARA , RG 84 , Am. Amb. , Const. , to Am. Con. , Bag. , dated 3.6.1912.

(15) NARA , RG 84 , Dr. Zwemer , Bahrain , to E. Sauer , Bag. , dated 8.1.1912 .

(16) NARA , RG 84 , M.C. No. 42 , E. Sauer , Bag. , to Dr. S.M. Zwemer , Bah. , dated 22.1.1912 .

(17) NARA , RG 84 , No. 25 , Am. Vice Con. In Charge , Bag. , to the Sec. of St. , Wash. , dated 9.12.1913 .

(18) NARA , RG 84 , Am . Con. Agent , Bas. , to Am. Con. , Bag. , dated 18.3.1912 .

(19) NARA , RG 84 , No. 478 , Am. Con. , Bag. , to Am. Con.-Gen. , Beirut , dated 28.9.1908 .

(20) NARA , RG 84 , John VanEss, Bas. , to Am. Con. , Bag. , dated 12.10.1908 .

(21) NARA , RG 84 , No. 27 , Am . Con. , Bag. , to Am. Amb. , Const. , dated 22.9.1908 .

(22) NARA , RG 84 , No. 478 , op.cit.

(23) NARA , RG 84 , No. 291 , Am. Con. Agent , Bas. , to Am. Con. , Bag. , dated 10.2.1909 .

(24) NARA , RG 84 , Am. Con. Agent , Bas. , to Am. Con. , Bag. , dated 20.11.1909 .

(25) Bailey , T.A. , A Diplomatic History of the American People , 10th Edition , N. Jersey , 1980 , p. 511 .

(٢٦) سليمان نظيف بك والي البصرة بين تشرين الثاني ١٩٠٩ وتشرين الأول ١٩١٠ ، أنظر : خالد السعدون ، الولاة العثمانيون في العراق ١٩٠٨ – ١٩١٤ ، في " مجلة دراسات تاريخية ، العددان ٩١ و٩٢ ، أيلول وكانون الأول ٢٠٠٥ ، ص ١٥٣ " .

(٢٧) يقصد البريطانيين .

(٢٨) يشير إلى وقعة " هدية " ، وهي لم تقع في " أبو غار " . لمعرفة تفصيلات أكثر عن هذه الوقعة ينظر : خالد السعدون ، العلاقات بين نجد والكويت ١٩٠٢ – ١٩٢٢ ، الكويت : ذات السلاسل ، ١٩٩٠ ، ص ص ١٢١ – ١٢٨ .

(٢٩) يقصد معاهدة كانون الثاني ١٨٩٩ بين الشيخ مبارك الصباح وبريطانيا .

(٣٠) هو منصور بن صالح بن جمعة الكوكبي ، منحه السلطان العثماني الباشوية وعين رئيسا فخريا لدائرة الأملاك الأميرية في القطيف فأظهر قسوة في معاملة الأهالي الذين رفعوا الشكاوى ضده . أمر المتصرف طالب بك النقيب بمداهمة منزله أثناء غيابه في بغداد سنة ١٩٠٤ فشكا المتصرف لدى الباب العالي لقيامه بطرده من وظيفته ومصادرته أمواله وأملاكه . يراجع : سهيل صابان ، مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني ، الرياض : مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، ص ص ٢١٥ – ٢١٦ .

(٣١) هو طالب بن رجب الرفاعي (١٨٧١ – ١٩٢٩) وحملت أسرته لقب النقيب لتولي أسلافه نقابة الأشراف في المدينة . عين متصرفا للواء نجد (الأحساء والقطيف) بين ١٩٠٢ و ١٩٠٤ ، وغدا زعيم البصرة أثناء الصراع بين الاتحاديين والقوميين العرب بعد انقلاب سنة ١٩٠٨ . ولمعرفة معلومات أوسع عنه يراجع : حسين هادي الشلاه ، طالب باشا النقيب البصري ودوره في تاريخ العراق السياسي الحديث ، بيروت : الدار العربية للموسوعات ، ٢٠٠٢ .

(٣٢) عبد الكريم بن صيهود المنشد أحد شيوخ عشيرة البو محمد ، تمرد على العثمانيين سنة ١٩١١ مطالبا بمنحه التزام مقاطعة الكحلاء . ينظر : خالد السعدون ، الأوضاع القبلية في ولاية البصرة العثمانية ١٩٠٨ – ١٩١٨ ، بيروت : الدار العربية للموسوعات ، ٢٠٠٦ ، ص ص ١١٤ – ١٢٢ .

(٣٣) يقصد الحرب التي نشبت في أيلول ١٩١١ بين الدولة العثمانية وإيطاليا إثر غزو الأخيرة لولاية طرابلس الغرب (ليبيا) . ينظر : وليم بيهلر ، تاريخ الحرب التركية – الإيطالية ٢٩ سبتمبر ١٩١١ – ١٨ أكتوبر ١٩١٢ ، ترجمة عبد القادر المحيشي وعبد المولى صالح ، طرابلس ، ١٩٩٠ .

(٣٤) يقصد شركة النفط الأنكلو – فارسية .